تلازم الفلسفة والتاريخ.. نماذج مختارة

م. عبد الحسين علوان الدرويش(*)

وقد قسمنا البحث الى أربعة مباحث:

المبحث الأول: تدوين التاريخ

والمبحث الثاني: المدارس التاريخية والمبحث الثالث: تفسير التاريخ

والمبحث الرابع: فلسفة التاريخ ثم الخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

المقدمة

ظهر مصطلح تلازم الفلسفة والتاريخ (بفلسفة التاريخ) عام ١٧٥٦م على يد الفرنسي ماري اوريه دي فولتير (١٦٩٤م - ١٧٧٨م) وكانت له الريادة في هذا التلازم بين الفلسفة والتاريخ لأنه حدد لأول مرة معنى هذا المصطلح. بأنه دراسة التاريخ من زاوية فلسفية وكان نهجه في تأسيس المعرفة التاريخية نهجاً عقلياً يعتمد رؤية نقدية، تفحص الروايات وترفض منها ما يقع في دائرة الشك وتسقط الخرافات وتنقح التاريخ من الاساطير والمبالغات، وهو يحدد هذا المبحث المعرفي النقدي بأنه الذي يهدف تعديل الدراسة التاريخية

كلمات مفتاحية: فلسفة التاريخ، التلازم، ابن خلدون، المعقول، النقد

الملخص

ظهر مصطلح تلازم الفلسفة والتاريخ (بفلسفة التاريخ) عام ١٧٥٦م في بحث نشرة في تلك السنة الفيلسوف الفرنسي (ماري اوريه دي فولتير) (١٦٩٤م - ١٧٧٨م)، وكان فولتير يعني بمصطلحه المبتكر هذا أن يُدرس التاريخ على أسس تحليلية نقدية يلتزم فيها المؤرخ بنوع من التفكير التاريخي يمكنه من تمييز روايات التاريخ، على وفق تلك الأسس، لاستبعاد غير المعقول منها.

وقد سبق اليه ابن خلدون في مقدمته من خلال نقده للمؤرخين ووضعه لمعايير كتابة تاريخ صحيح يخلو من الأكاذيب والأخطاء والمبالغات. وقد اخترنا نماذج منتخبة من حركة التاريخ بعصوره المختلفة وارتباطها الوثيق بالفلسفة.

(*) الجامعة المستنصرية - كلية الاداب

من التاريخ السياسي والعسكري الى فلسفة حضارية.

ان هدف التاريخ النقدي يتسع الى تحرير العقل الإنساني من الخرافة، وذلك من اجل شيوع الحرية والتنوير والمباحث العقلانية.

وان مهمة فلسفة الحضارة هي توجيه البحث التاريخي الى ما هو اهم من اخبار المعارك وسير الملوك وحوادث البلاط، انها تتابع مسيرة العقل البشري في مختلف النشاط الإنساني، على الرغم من هيمنة هذا الرأي في دائرة البحث الفلسفي التاريخي.

والعلامة والمفكر العربي ابن خلدون المتوفى في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي هو الرائد في تأسيس هذا المبحث المعرفي تأسيساً فلسفياً حيث شخص أماناً عدة شواهد، إن ابن خلدون يسبق في تاريخ الفكر الإنساني وممارس التدوين التاريخي قبل فوليتز، حيث ابتعد ابن خلدون عن السرد التاريخي واقترب من التنظير التاريخي، حيث أقام بحثه على التمييز بين الظاهر والباطن في التاريخ وعدّ باطن التاريخ موضوعاً يستدعي إنعام النظر والتحقيق والتعليل والعلم العميق في الماضي، مما جعل التاريخ في صميم الحكمة والحكمة، هي الفلسفة، بل هي أسمى غاياتها. وقد اخترنا نماذج منتخبة من حركة التاريخ بعصوره المختلفة وارتباطها الوثيق بالفلسفة.

وبهذا لم يفلت التاريخ من قبضة الفلسفة، هذا الكائن الذي استحوذ على الاحداث في كل الاتجاهات، وعندئذ لم يعد التاريخ حوادث منفصلة تظهر مرة ثم تموت الى الابد، فالتاريخ الذي ترصده الفلسفة هو التاريخ الكلي الذي ينظم البشرية بأسرها في صيرورتها التاريخية، فأصبح التاريخ يؤلف وحدة منظورة تسعى

فلسفة التاريخ الى اكتشاف قوانينها المحركة وشروطها الناظمة.

وقد قسمنا البحث الى أربعة مباحث:

المبحث الأول: تدوين التاريخ

والمبحث الثاني: المدارس التاريخية

والمبحث الثالث: تفسير التاريخ

والمبحث الرابع: فلسفة التاريخ

ثم الخاتمة وقائمة بالمراجع والمصادر.

المبحث الأول / تدوين التاريخ

الصورة البدائية الأولى للتاريخ

كانت الرواية الشفهية هي الصورة البدائية الأولى للتاريخ كعرفة قبل أن تعرف الكتابة، ثم امتزجت بعناصر فنية كالرسم والنقش والتمثيل وغير ذلك مما يدخل في عداد الآثار التي تكون مصدراً من مصادر التاريخ. وبعد اكتشاف الكتابة في بلاد ما بين النهرين أولاً حوالي سنة ٣٣٠٠ ق.م ثم في حدود سنة ٣٠٠٠ ق.م في مصر، ٢٠٠٠ ق.م في الصين. وأن بواكير الوعي التاريخي لدى اليونان ترجع الى تلك الحقبة وترتبط بعناصر ادبية ملحمة كانت أيضاً لما تزل شفوية بعد، تتمثل بملحمة الإلياذة والأوديسة) الشهيرتين اللتين ظهرتتا بين القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، ونسبتا الى الشاعر هوميروس وتعد هاتان الملحمتان، لا سيما الإلياذة التي تحدثت عن الحرب بين الإغريق وطروادة، مصدراً تاريخياً لتلك الحقبة التي خلت من التدوين التاريخي.

في القرن الخامس قبل الميلاد أخذ الفرس بالزحف على آسيا الصغرى واستولوا على مدنها الغربية اليونانية. وكان الانتشار اليوناني

أحداث القرن الأول الهجري. وبعد ذلك ظهر أيضاً (كتاب التاريخ) لهشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ. وفي الوقت نفسه كتب الهيثم بن عدي (٢٠٦ هـ) (كتاب التاريخ على السنين) وكتاب (تاريخ الأشراف الكبير).

ذلك كله كان قبل أن تظهر كتب التراجم التي أطلق عليها اسم التاريخ، والتي كان من أولها ظهوراً (تاريخ البخاري) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.^(٣)

العوامل المؤثرة في تدوين التاريخ الإسلامي:

تتأثر عملية تدوين التاريخ الإسلامي - بوصفها واحدة من الأنشطة العلمية والظواهر الحضارية - بعوامل كثيرة ومتنوعة، بعضها إيجابي يدفعها نحو الأمام، وبعضها الآخر سلبي يُعرقل حركتها، أو يدفعها إلى الوراء.. وسنقدم باختصار عرضاً لأهم هذه العوامل:

أولاً: العوامل الإيجابية:

هناك عوامل كثيرة تحفز نحو الاهتمام بالتاريخ وتدوينه، أو تساعد عليه وتوفر أسبابه وأدواته، نذكر الأهم منها، وهي:

القرآن الكريم: ويتمثل دوره الإيجابي الكبير من خلال:

أ- الاهتمام القرآني البالغ بالتاريخ، تاريخ الأنبياء وتاريخ الأمم، الذي تكرر في سور قرآنية عديدة، وأساليب في العرض متنوعة، قادرة لوحدها أن تبعث روح الاهتمام بالتاريخ، معرفة وتدويناً. فالعرض القرآني المفصل إلى حد ما لتاريخ بني إسرائيل، والعرض المقتضب لتاريخ قوم نوح وإبراهيم وشعيب وهود ويونس وصالح وعيسى (ع) وأصحاب الكهف، هي نماذج من العرض التاريخي الذي يركّز

على سواحل البحرين الأسود والأبيض قد أخذ مداه آنذاك أيضاً، مما وسع من مجال اتصال اليونان بحضارات أخرى، وكان عاملاً من عوامل اهتمامهم بالتاريخ لتطلعهم نحو معرفة الشعوب التي احتكوا بها لاسيما الفرس. إذ نجد هيكتيوس (ولد حوالي عام ٥٤٦ ق.م) من أشهر المؤرخين اليونان. إن الكتابة التاريخية عند اليونان ظلت (قصة storia) تضمّن في كتابات تتعلق بوصف الشعوب والبلدان أي الجغرافية البشرية والطبيعية، التي أن ارتقى بها هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م) إلى موضوع مستقل قائم على اسس علمية حينما أطلق عليها مصطلح (Historia = تاريخ) الذي اراد منه البحث والاستقصاء عن حوادث الماضي والكشف عنها، وعدم الاقتصار على القصص وما يشوبه من اساطير وخرافات كما هو دأب السابقين له، لذلك وصف هيرودوت بأنه (إمام التاريخ)، (أبو التاريخ)، وهو اللقب الذي لم ينافسه عليه أحد^(١)

تدوين التاريخ الإسلامي

لقد عرف المسلمون كلمة ((التاريخ)) قبل بدء اعتمادهم للتاريخ بحسب التقويم الهجري في السنة الرابعة من حكومة عمر بن الخطاب (رض). حيث اعتمد المسلمون التقويم الهجري منذ سنة ١٧ هـ من أجل التاريخ للكتب الرسمية والدواوين والعقود ونحو ذلك. واعتبروا المحرّم أول أشهر السنة وفقاً لما أشار به الإمام علي (ع) لاعتبارات خاصة ميّزوا بها هذا الشهر عن غيره.^(١)

ثم عرفوا ((التاريخ)) بمعنى الكتاب الجامع للأحداث عبر السنين، وظهرت هذه الكلمة عنواناً لكتاب صنّف في النصف الأول من القرن الثاني، وهو (كتاب التاريخ) لعوانة بن الحكم، المتوفى سنة ١٤٧ هـ، وقد تحدّث فيه عن

على أهم الأدوار التاريخية والأحداث الحاسمة، ودور الطبيعة ودور المجتمع في التاريخ. والعرض المفصل لقصة يوسف هو نموذج لعمل تاريخي في حياة الأفاضل صانعي التاريخ^(٤)

أمّا المقاطع المنفردة حول الرسول الأعظم(ص) وسلسلة الأحداث في أيامه، فهي مادة تاريخية خالصة، تمثل أوثق ما يجده المؤرخ من نصوص حول تلك الحقبة. نصوص استوعبت أخبار البيعة النبوية، والكثير من أحداث العهد المكي، والهجرة، وإقامة المجتمع المدني بصوره الحضارية في المدينة المنورة، ومرآحلتطور هذا المجتمع عقدياً وثقافياً وسياسياً، كما استوعبت المغازي وما أحاط بها من مقومات النصر أو أسباب الإخفاق، كالذي حصل في أحد وحنين مثلاً، وغير ذلك مما يتصل بتاريخ الأمة الإسلامية في عصر التنزيل^(٥)

ب- تركيز القرآن المستمر على النظر في تاريخ الأمم السابقة، ودراسته دراسة وعي وتفسير وتدبر. وهذه فائدة أخرى غير فائدة الغرض التاريخي، تتمثل في البحث والنظر في دور الفرد ودور المجتمع في التاريخ، وفي البعد الاجتماعي للفعل التاريخي، وفي السنن التاريخية الحاكمة التي تستخلص نتيجة العمليات الاستقرائية للظواهر التاريخية ومقدماتها، التي تتمثل في مجموعة الأحداث التي تترتب عليها تلك الظواهر، ثم البحث في العلاقة بين هذه الأحداث بعضها مع بعض، ثم بينها وبين تلك الظواهر التاريخية. وهذا هو المراد من الاعتبار والتدبر في تواريخ الأمم، وهو الذي ركز عليه القرآن الكريم بشكل مكثف، وهو الذي أصبح يمثل المادة الأساس لتاريخ الحضارات، ثم فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي^(٦)

٢ - السيرة النبوية: الأهمية الفائقة التي تحتلها السيرة النبوية الشريفة تبعث حرصاً أكيداً على حفظها، وإن كان لمجرد التبرك بذلك، أو لغرض تعبدي محض، ناهيك عن أغراض التأسي أو التبليغ. فكانت الرواية في السيرة النبوية وأيام الرسول(ص) في السلم والحرب هي أول ما عنى به المسلمون مما يتصل بالتاريخ رواية وتدويناً، وقد بقي هذا الاهتمام غالباً على المدونات التاريخية حتى نهاية القرن الحالي، إذ كانت كتب((السيرة النبوية ومغازي الرسول)) هي الأكثر شيوعاً طوال هذه الفترة. حتى لصبح القول بأن العناية بالسيرة النبوية هي مفتاح التدوين التاريخي عند المسلمين ومحوره الأول^(٧)

٣ - توسع الدولة الإسلامية وأحداث التاريخ السياسي: إن أحداث التاريخ الإسلامي بعد وفاة الرسول(ص)، ابتداءً بأحداث السقيفة، وانتخاب الخليفة وما رافقه من وقائع، ثم سلسلة الحروب الداخلية التي خاضتها الخلافة مع المرتدين وغيرهم، والتي عرفت جميعاً بحروب الردة، ثم حركة الفتوح الإسلامية منذ عهد أبي بكر وبعده، التي أسفرت عن توسع مساحة البلاد الإسلامية ودخول قبائل وأمم جديدة في الإسلام، ثم الأحداث الداخلية الأخرى في أواخر عهد عثمان بن عفان، ثم حروب الجمل وصفين والنهران وما تلاها من حروب داخلية، كواقعة كربلاء ووقعة الحرّة وأحداث عبدالله بن الزبير في مكة، ثم الثورات الداخلية في العراق، والكوفة خاصة، ابتداءً بحركة التوابين والمختار الثقفي، مروراً بحركة زيد بن علي وأولاده، ومحمد ذي النفس الزكية وأخيه، وحركات طوائف الخوارج، كل هذه ونظائر ها كانت بما تحمله من أهمية أو خطورة، وبما أحيطت به من جراء تحزب الناس حولها بين مؤيد ومعارض، مدعاة

للاهتمام بتدوينها وحفظها^(٨)

التاريخية، هذه المساحة التي أصبحت تزوّد القارئ الواعي للقرآن الكريم بفوائد جديدة لم يكن الإنسان العربي يدركها من قبل، أولها: الوقوف على أهم الأحداث التي تتصل بتاريخ الأنبياء والأمم والشعوب. ومن ثمّ الوقوف على أهميّة دراسة التاريخ والمعرفة التاريخية. الأمر الذي انعكس أخيراً في عشرات المدونات التاريخية في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، ومنذ انطلاق حركة التدوين والتصنيف، التي لم تكن هي الأخرى إلا واحدة من ثمرات الإسلام وما زوّد به أتباعه من علوم ومعارف وفنون.

من الضروري للباحث في التاريخ أن يعرف الفرق بين علم التاريخ وفلسفته، فالعلم - بما هو علم - عبارة عن المفردات أو المجموعات السطحية الظاهرة من اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو تربوية، أو ما أشبهه.

أما الفلسفة، فهي عبارة عن الروح العامة الدارجة في كل ذلك في أي بعد من أبعاد الحياة، أنّ موضوع التاريخ، لمفرده، علم مستقل، ولمجموعه يدخل في نطاق الفلسفة، فالمؤرخ إنما يؤرخ للذين دخلوا التاريخ، ولعبوا دوراً فيه، وحرّكوا مساره، سواء دخلوا التاريخ للإفساد كفرعون، وهتلر، وستالين، أو أدخلوا التاريخ للإصلاح، كما فعل الأنبياء والمصلحون، ولا فرق في ذلك بين السياسة، والقادة، والعلماء، والفلاسفة، والمفكرين، والشعراء، والمخترعين، وأصحاب الصناعات والحرف.

وكما أنّ الأشجار بأجمعها لها واقع مشترك، وإن كانت مختلفة في الحجم، والشكل، واللون، والثمر، وباصطلاح المنطقيين لها جنس واحد وفصول مختلفة، كما ولها أعراض

٤ - وفرة وسائل التدوين وتطوّر ها نسبياً، كان له الأثر الفعّال في تيسّر عملية التدوين وفي إعادة نسخ المدونات ونشرها حيث انتشرت أسواق الوراقين في البلاد الإسلامية آنذاك.

ثانياً- العوامل السلبية:

هناك عوامل كبيرة ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، وكان لها أثر سلبي بين على حركة التدوين التاريخي، أهمها:

أ - عملية منع التدوين للسنة الشريفة، والتي ابتدأت في وقت مبكر جداً، بعد وفاة النبي(ص)، وقد امتدت آثارها النفسية حتى أواخر القرن الهجري الأول.^(٩)

ب - الثورة الثقافية العكسية، التي قادها معاوية في مطلع خلافته، إذ بثّ العديد من الخطباء والمعلمين والوعاظ، ينسجون الأخبار الكاذبة ليصنعوا مناقب لعدد من الصحابة، من أجل مقابلة الرصيد الكبير الذي حازه عليّ وبنو هاشم في التاريخ والسنة، وفي مقابل ذلك فقد أوصد الأبواب بكلّ قوّة، بالحرمان والتشريد وحتىّ السيف، أمام بثّ شيء من مناقب عليّ وبنو هاشم التي يتصل الكثير منها بأحداث التاريخ الإسلامي.

ج - الفتن والاضطرابات السياسية والنزاعات المذهبية التي تسببت في ضياع وأتلاف الكثير من الكتب، بما فيها كتب التاريخ، ومن البيهقي أن تكون كتب الفئات المعارضة للسلطة، في كل عصر من العصور، هي الأكثر عرضة للضياع والإتلاف.^(١٠)

يتضح مما سبق المساحة الواسعة التي أفردتها القرآن الكريم للتاريخ والقضايا

مختلفة خاصة أو عامة، وكذلك بالنسبة إلى الأنواع الأخرى لها جامع واحد، كذا الأمر بالنسبة إلى أحداث التاريخ فكل الحضارات والبدوات لها جامع مشترك من ناحية.^(١١)

وفي نطاق الحضارات هناك جامع مشترك لجميع الحضارات، وكذلك البدوات لها جامع مشترك، وإنما الأشكال، والصور، والخصوصيات، والمزايا، تختلف اختلافاً نوعياً أو فصلياً أو نحو ذلك، وحال الأمواج التي تتقاذف في البحر، فلها واقع واحد وتكوين مشترك هو الماء. ومفهومنا لفلسفة التاريخ، هو القاسم المشترك الذي يجمع الأحداث التاريخية، ويضعها أمام بصيرة الإنسان.

ان فلسفة التاريخ تعالج قصور المعرفة التاريخية أنها تجعل من وقائع التاريخ المترامية والمتلاحقة ذات معنى وهدف وهي اذ تبدأ كما لاحظ كروتشه((من مشكلة قائمة في الحاضر الا أنها تجعل من الإنسان ساكناً دائماً فيه وتربطه به، ومن ثم لأتحمله إلى الغوص في أعماق الماضي السحيق غوصاً يجعله غريباً عن حاضره. وهي اذ تخالف التاريخ في تطلعها الدائم الى المستقبل فإنها لا تجعل الإنسان يقع تحت عبء الماضي ومن ثم فهو محصن ضد ما أسماه نيتشه)) داء التاريخ، أي آفة العقل حين يغريه الماضي بالولاء له، فما اسماه المؤرخون جهل فلاسفة التاريخ بالوقائع التاريخية المفصلة او هزال مادتهم التاريخية التي يقيمون عليها نظراتهم ليس في الواقع الا تحرراً من هؤلاء الفلاسفة من أن يسقطوا ضحية داء التاريخ)).

ومن الجدير بالذكر ان فلسفة التاريخ تعوض كذلك عن قصور الفلسفة بالفلسفة تعاني من قلق دائم مصدره اشتياق الفيلسوف للوصول

الى الحقيقة وهو مستمر في البحث عنها الا أنه يخشى ان يضل السبيل اليها وهو يتأمل من برجه العاجي ويتعامل في عالم المجردات. ولذلك نلحظ ان فيلسوف التاريخ يلتمس مادته من واقعية التاريخ. وعلى أساس هذا الفهم نجد ان التاريخ يشد الفلسفة بحيث لا يتيح لها فرصة التحليق((بعيداً في غير عالمنا وترتفع الفلسفة بالتاريخ حتى لا يغوص في وحل الماضي ودمائه، يلتمس التاريخ من الفلسفة الحكمة والمغزى، وتلتمس الفلسفة من التاريخ الواقعية كلاهما يكمل في الاخر قصوراً ومن ثم كان الزواج بينهما قائماً رغم معارضة الفلاسفة والمؤرخين)).^(١٢)

وفائدة دراسة فلسفة التاريخ، والتعمق فيها هي المعرفة، فإن العلم والمعرفة مطلوبان بذاتهما، لأنهما يسببان لذة روحية، والفرق بينهما أن المعرفة يقال لما سبق العلم به، فإن العلم بالجامع ينتج معرفة الإنسان بأسباب سقوط وقيام الحضارات والدول، فمثلاً سنتعرف على أسباب سقوط بني أمية، وسقوط روسيا القيصرية، ثم روسيا الشيوعية، وهكذا بالنسبة إلى أسباب الانتصار والنجاح، فلماذا نجح ذو القرنين، ونجح الرسول الأعظم(ص) ونجح الأئمة الطاهرون(ع)؟ ومثل هذه المعرفة، تفيدنا في تجنب الأسباب الداعية إلى السقوط والأخذ بأسباب النجاح، لذا نجد في القرآن الكريم وصفاً دقيقاً لذي القرنين(ثم اتبع سبباً)^(١٣) فالدنيا هي محيط الاسباب، والاسباب تنتهي إلى المسببات، ولذا قال(سبحانه وتعالى)(فيسيروا في الأرض)^(١٤)، وقال الإمام علي(ع)(وسرفي ديارهم واعتبر آثارهم)^(١٥) فإن من يسير في الأرض أو في الديار، سيعرف لماذا سقطت هذه الأمة، وكيف نجحت تلك الأمة، وسيعرف

أسباب ذلك فالجامع الواحد، يعطي أثراً واحداً حسناً في الجامع الحسن، وأثراً سيئاً في الجامع السيئ.^(١٦)

لا بد هنا ان نشير ان سجل تاريخ الحوار المعرفي بين الفيلسوف والمؤرخ، موقف فلسفي ينظر بنظرة دونية للمعرفة التاريخية، ولم تحصل فرص حوار معرفي إيجابي الا في فترات معينة حقق فيها المؤرخ مشروع انتقال معرفي من التفسير التاريخي، ليباشر فعل تفسير فلسفي لسياقات التاريخ او بالعكس انتقال البحث المعرفي عند الفيلسوف الى مساحة المعرفة التاريخية، ليمارس فعل مزج بين المقولات الفلسفية والقراءة المتأنيبة للأحداث التاريخية.

وبخلاف هذه التجربة الفلسفية - التاريخية نجد الموقف السائد هو قيام نوع من الريبة من التفسير الفلسفي للتاريخ، وبالمقابل شيوع أحكام في دائرة الفكر الفلسفي تتهم المنهج التاريخي بالعقم والسكون.

وعلى أساس هذا الفهم نجد ان التاريخ يشد الفلسفة بحيث لا يتيح لها فرصة التحليق بعيداً في غير عالما، وترتفع الفلسفة بالتاريخ حتى لا يغوص في وحل الماضي ودمائه، يلتمس التاريخ من الفلسفة الحكمة، وتلتمس الفلسفة من التاريخ الواقعية كلاهما يكمل الآخر ومن ثم كان الزواج بينهما قائماً رغم معارضة الفلاسفة والمؤرخين.

التاريخ في الخطاب القرآني:

إن ثمة حقيقة أساسية تبرز واضحة في القرآن الكريم، تلك هي أن مساحة كبيرة في سورة وآياته قد خصّصت (للمسألة التاريخية) التي تأخذ

أبعداً واتجاهات مختلفة وتندرج بين العرض المباشر والسرد القصصي(الواقعي) لتجارب عدد من الجماعات البشرية، وبين استخلاص يتميز بالتركيز والكثافة للسنن التاريخية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان، مروراً بمواقف الإنسان المتغيرة من الطبيعة والعالم، وبالصيغ(الحضارية) التي لا حصر لها والتي تتأرجح بين البساطة وبين النضج والتركيب، وتبلغ هذه المسألة حداً من (الثقل) وال(الاتساع) في القرآن الكريم بحيث ان جلّ سوره لا تكاد تخلو من عرض لواقعة تاريخية، أو إشارة سريعة لحدث ما أو تأكيد على قانون أو سنة تتشكل بموجبها حركة التاريخ.

إن(المنهج) الجديد الذي يطرحه القرآن يؤكد، أكثر من مرة، على ان(التاريخ) لا يكتسب أهميته الايجابية الا بأن يتخذ كميدان للدراسة والاختبار، تستخلص منه القيم والقوانين التي لا تستقيم أية برمجة للحاضر والمستقبل إلا على هداها، وليس الأسلوب الفني في العرض والتحليل سوى جسر تحمل عليه العروض والنتائج النهائية لأية ممارسة في حقول التاريخ.^(١٧)

نستنتج من ذلك أن التفسير الإسلامي للتاريخ مستمد من رؤية الله التي تعلو على الزمان والمكان وتتجاوز مواضع العصر النسبية، فانه ينظر بافتتاح تام إلى الأحداث، ويسلط الأضواء على مساحتها جميعاً، إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية.. فيما كانت عليه، وما هي عليه، وما سوف تكون عليه. إنه- مثلاً - يعترف بالتمايز القومي، ويعطي لهذا العامل(الواقعي) حجه الحقيقي رغم نزعة الإسلام العالمية واستعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الإقليم أو

اللون أو الجنس.. ويؤكد على ضعف الإنسان وتقلبه وعجلته، رغم انه جاء بنظرية(الخلافة) عن الله التي رُفِعَ بها الإنسان إلى أعلى منزلة، وحثّم على الملائكة أن تسجد له. وهذا يقودنا إلى حقيقة أساسية، وهي أن التفسير الإسلامي (واقعي) لا يتأثر بقيمة ومثالياته الممكنة الوقوع أساساً، في تفسيره للواقع.

إن مفردته التاريخ أقدم من كلمة الفلسفة، والإنسان هو محور التاريخ وهو بدوره عبارة عن انعكاسات ألق الوجود وأنواره على شتى جوانب الإنسان وأبعاده. ومن ثم فإن التاريخ حقيقة كلية تتسم بالوحدة في عين التعدد والكثرة، وكلمة اكتسى التاريخ هذا بحلة جديدة ظهر عصر جديد. ولذلك فإن أحكامنا في التاريخ منوطة بملاحظاتنا حول وجود الإنسان ذاته فهو محور التاريخ ومرتكزه. فالإنسان ليس سوى حقيقة، لأن الله هو الذي خلقه بيده وعلى صورته ونفخ فيه من روحه، وليس في وسع تاريخه إلا أن يكون تاريخاً. وهو قد اكتسب من يد الله تعالى القدرة على الاختيار وحرية الإرادة والتاريخ، واستلهم من صورة الله الثقافية والمعطى الروحي، كما أمدته روح الله بالحياة والحركة. وعلى هذا الأساس امتلك الإنسان تاريخاً وثقافة وحرية وفي ضوء وحدة المبدأ الذي انبثق عنه الإنسان والتاريخ الإنساني، يمكن القول بوحدة الغاية والمال الذي تتحرك نحوه الإنسانية، كما أن غاية التاريخ ليست شيئاً سوى الثقافة المعنوية والروحية إضافة إلى شرطها الضروري، أعني الحرية الحقيقية.^(١٨)

ويرى الباحث أننا الآن، أمام انطواء جماعي يشمل معظم شعوب الأرض. فالبحث عن الذات، أصبح أهم بكثير من البحث عن التراث الإنساني الذي يجمع النفوس الإنسانية

ولا يفرقها. إننا أمام حالة كئيبة من الإغراق في المادية تنشر اليأس والضياع وفقدان الأمل، بعد أن غيبتنا المشاعر الإنسانية والأخلاقية والروحانية عن حياتنا، ولا نزال سادرين في هذا التغييب بلا مبرر سوى خلق إله جديد للعبادة، إله المال والاستهلاك والذات الآنية.

منهجية ابن خلدون:

المنهج الذي استعمله ابن خلدون، والركائز الفكرية التي انطلق منها لإعادة بناء التاريخ وصياغة نواميسه قد اتسم بكونه محاولة جادة، تميزت وافتقرت عن المناهج السائدة في عصره.. من حيث انه منهج فرضي تجريبي.. ونعني به فرضياً من حيث أنه منهج يبحث في ثانياً ومتون الروايات التاريخية عن ما صدق يؤيد التصور النظري الذي وضعه لتفسير الأحداث جملة وتفصيلاً.. ونعني به تجريبياً من حيث انه منهج يرفض التفسير الخرافي للتاريخ، ويتكئ على وقائع المجتمع البشري والظروف الطبيعية التي تحيط بالحدث التاريخي.. من جهة ان هذه الوقائع وتلك الظروف هي التي تقرر ضم الرواية التي تؤيد أو نبذ واستبعاد الرواية التي تتعارض مع الفرض الذي سلم به في بداية البناء.^(١٩)

ويرى الباحث أن تفسير ابن خلدون ومنهجه عبارة عن أبنية تسلم بمنهج يجزئ الحضارة والتاريخ إلى خانات، مؤكدة على أن كل خانة وقفة تاريخية منفصلة.. فهي مناهج ترفض التواصل بين الأحداث، لان الأحداث التاريخية مواقف حياتية ترفض التطابق والتشابه والتكرار، كما يستشف من هذه الأبنية وانها مواقف تتميز بسمتي والنماء والانقلابية.

المبحث الثاني / المدارس التاريخية

أساس الدوافع الأنانية للأفراد.(٢١)

٢ - جان بودان(١٥٩٦):الذي عرّفه بعضهم مؤسساً لفلسفة التاريخ،حاول التوفيق بين ما هو إلهي وما هو مادي في نظام الكون، والإنسان بتركيبه المزدوج،من جسد وفكر،أو روح،يمتلك بعض المميزات التي تنظم العالم المادي والعالم الإلهي وهكذا فالتاريخ يشمل الطبيعة والله معاً. ومن ناحية أخرى فإن تطور القانون المدني يكشف وجهاً من النظام في التاريخ، لذلك يوجد،(قانون شامل)) للتاريخ وراء القوانين الخاصة لدى مختلف الشعوب ودراسة وقائع التاريخ تتيح التحقق من وجود هذا القانون الشامل.(٢٢)

٣ - هوبز(١٦٧٩ م):جعل العامل الوحيد في سير التاريخ وقيام الدول والحضارات هو الخوف من الموت... والتاريخ عنده محكوم بالصراع والصراع هو الذي دفع بني الإنسان الى تشكيل المجتمعات والدول، دفعا للخطر وحفظا للنفس بدافع الخوف من الموت وبذلك قامت الحضارات والذي يحرك ذلك كله هو الأنانية الراسخة في الإنسان ذلك((الناس أنانيون بالطبع وأنهم لا يسعون إلا إلى حفظ بقائهم وإلى القوة)) فهم يسعون أبداً أجل ذلك إلى اكتساب السلطات فوق السلطات.(٢٣)

٤ - فيكو(١٧٢٤م): درس العلاقة بين السياسة والوعي من خلال متابعته((لتاريخ القانون)) و((تطور العقل)) وما يتركانه من أثر على مسار تاريخ البشرية الذي يتحرك بمنطق(التقدم الدوري الإلهي والبطولي والإنساني) ليقول: أن التاريخ في حقيقته هو تاريخ الجماعات الإنسانية وتطور أنظمتها من دون أن ينشأ تعارض بين أفعال الأفراد والمشئنة الإلهية من الإنسان صانع لتاريخه مستفيد من العقل الجمعي. واعتمد في تفسير

كيف استطاع الإنسان أن ينتقل بحياته البدائية البسيطة إلى حياة أكثر تقدماً وتعقيداً،تزخر بألوان المد الحضاري؟ أو: ما هي العوامل التي يرجع إليها سير التاريخ ونشوء الحضارات؟

إن الإجابة على هذا السؤال،بتحديد العوامل الأساسية في حركة التاريخ ونشوء الحضارات وتدهورها، هي التي تشكل الصياغة النظرية التي يُطلق عليها((مدرسة تاريخية)).

وهذه الدراسات القائمة على تفسير التاريخ وأحداثه هي التي يطلق عليها أيضاً(فلسفة التاريخ)).

ومن البديهي جداً أن نتصور تعدد الإجابات على ذلك السؤال الرئيس الكبير، وهذا يعني تعدد المدارس التاريخية تبعاً لذلك.(٢٤)

ظهرت المدارس التاريخية الكبرى في أوروبا على يد عدد من الفلاسفة الذين حاولوا تفسير حركة التاريخ نذكر هنا أهم هؤلاء الفلاسفة،مع بيان موجز لرؤية كل منهم في هذا الموضوع:

١ - مكيافيللي(١٥٢٧):وهو صاحب المبدأ الشهير:(الغاية تبرّر الوسيلة))! وقد نظر إلى التاريخ في إطار السياسية المنفصلة عن الأخلاق، وفي هذا الإطار سيمجد التاريخ كل عمل سياسي لا أخلاقي نجح في تحقيق أهدافه،مادامت الغاية تبرّر الوسيلة. وتفسير حركة التاريخ ونشوء الحضارات عنده يقوم على عامل واحد وهو:(الدوافع الأنانية للأفراد)) فبفعل الدوافع الأنانية يتحرك الأفراد،وتتشكل المجتمعات وتقوم الحضارات،وبفعل الدوافع ذاتها تنهار الحضارات أيضاً. والحضارة إنما تعبّر عن البعد الفلسفي للتاريخ لأنها قامت على

ستنعكس بدورها على نظام الحكم وعلى الخط الحضاري^(٢٥)

٦ - روسو (١٧٧٨م): كان يرى أن العامل المحرك للتاريخ هو (الإرادة الحرة).. فتاريخ البشرية عنده عبارة عن ترجمة عملية لتاريخ الإرادة الإنسانية والفعل الحر لذلك كان يدعو إلى الثورة لأنه يراها أساس التغيير ويخالف هنا فولتير الذي كان يرى أن التغيير يتحقق عن طريق التوعية^(٢٦)

٧ - فولتير (١٧٧٨م): الذي هاجم التاريخ المدون بأسره ووصفه بأنه ليس إلا مجموعة من الاباطيل والخدع التي نلعب بها على الأموات بحيث نحول الماضي ليتناسب مع رغبتنا في المستقبل قال: لا ينبغي أن يكتب التاريخ سوى الفلاسفة! واستبدل مصطلح (حكمة التاريخ) بـ(فلسفة التاريخ) وإليه يعود الفضل في استخدام هذا الاصطلاح لأول مرة. وكان فولتير يعتقد بالله لكنه يعارض التصور الكنائسي المسيحي للتاريخ^(٢٧)

٨ - المدرسة المثالية.. هيغل: لا يقتصر مصطلح "فلسفة التاريخ" على المهتمين بالفلسفة فحسب، بل يشمل أيضاً المؤرخين المدفوعين إلى التفكير في الحدث التاريخي والمنهج المتبع لتحليله وتأويله. لذلك لا تعنى فلسفة التاريخ توصيف الحدث، بل انتهاج فلسفة نقدية للتاريخ، كربط السابق بالأحق وإعادة الظاهرة الحديثة إلى ظواهر أخرى، بضرب من التناص الحديث الذي لا يبحث في الأسباب من خارج الحدث، مثل الالتجاء إلى قوة غيبية أو مسبق فكرة أو قيمة، وإما يراد بنقد التاريخ الخروج من آخر معاقل الميتافيزيقا التاريخية لدى هيغل^(٢٨).

٩ - المادية التاريخية (ماركس، وأنجلز):

الحضارات ((نظرية الدورات التاريخية)) فثمة تجديد دائم ينظم حركة الحضارة الثلاثية (بداية - عظمة - نهاية) والتاريخ مرتبط بالحضارات لا الأفراد ومتى اختلفت موازين الحضارة وساد التطرف حياة الناس كان الأفول بتحلل داخلي أو غزو أجنبي يفضي مستقبلاً إلى عودة لولبية جديدة للتاريخ يسوقها قائد بطل منفذ وشعب متحضر - يبحث عن التجدد ويدرك حركته^(٢٩)

٥ - مونتسكيو (١٧٥٥م): من أشهر فلاسفة عصر التنوير، هو روسو وفولتير، الآتين بعده، عدّ بعضهم ((مؤسس فلسفة التاريخ)). فسّر حركة التاريخ تفسيراً جغرافياً، إذ جعل حياة الإنسان انعكاساً للظروف الجغرافية، فالتغييرات التاريخية عنده مظاهر مختلفة لجوهر واحد وينبني هذا المذهب الجغرافي على مقدمتين:

الأولى: ينسبها إلى علم الاجناس الذي يقرر أن الإنسان قد انتشر منذ فجر التاريخ البشري انتشاراً واسعاً في الارض فتعرض نتيجة ذلك الانتشار الى فروق مناخية عظيمة وهذه الفروق المناخية قد ميزت الجماعات البشرية بخصائص فيزيولوجية ونفسية متفاوتة.

المقدمة الثانية: ينسبها إلى علم النفس الاجتماعي الذي يقضي بوجود صلة وثيقة بين قيمة الخصائص النفسية وبين طبيعة المزايا الفيزيولوجية المتفاوتة.

إن ستختلف امزجة الناس وطباعهم حسب اختلاف المناخ وهذا هو السر حسب هذه النظرية في الاختلافات الظاهرة في الانظمة الاجتماعية بين مجتمع وآخر، كالذي نلاحظه بين أهل الاقاليم الباردة وبين أهل الاقاليم الحارة من فوارق ظاهرة في العادات والتقاليد والانظمة الاجتماعية وهذه الفوارق

وقد عدّ بعض الفلاسفة وظيفة فلسفة التاريخ النقدية هذه وحدها مسوغاً في تشكل موضوع (فلسفة التاريخ) عموماً بشقيها النقدي والتأملي.^(٣١)

الذي له علاقة في الوقت نفسه بالفلسفة التأملية للتاريخ والتي تدعى أيضاً بفلسفة التاريخ النظرية. فالتاريخ له في واقع الأمر فلسفتان: نقدية وتأملية، أما التأملية فلها نظريات معروفة توصل لها أصحابها، وهم فلاسفة غالباً، من خلال تتبعهم لطبيعة مسيرة وقائع التاريخ العام، وهي نظريات يستشرف بها المستقبل بالاستناد إلى معرفة أنماط مسيرة الماضي. ويبدو أن تقويم بعض الفلاسفة ذلك للوظيفة النقدية لفلسفة التاريخ استدعاها ابتعاد المؤرخين خاصة عن التعرف على حقيقة فلسفة التاريخ التأملية (النظرية) وفلسفة التاريخ النقدية ووظيفتيهما لديهم، وتمثلهم للمفهوم الأول غالباً مما ترتب عليه نفي هؤلاء لجدوى فلسفة التاريخ وعدم استيعابهم لفائدتها للدراسة التاريخية.^(٣٢)

فلسفة التاريخ يرتبط دورها بالتعليل الذي يدور معناه حول تبين علل الأشياء والظواهر، أي توضيح أسبابها، إذ أن العلة من كل شيء هي سببه. ويمكن حصر المفهوم العام للتعليل، لغوياً وفلسفياً، بالبحث عن العلة، أو عن السبب الذي يؤدي، بنفسه أو بواسطة انضمام غيره إليه، إلى أمر آخر يعرف بالسبب، أو المعلول. وعملية التعليل قد تكون منطقية صرفاً تدور مباحثها من الناحية الصورية فحسب، أو طبيعية تتناول ظواهر الطبيعة أو الوجود عامة.^(٣٣)

وعلى الرغم من أن العلة والسبب هما من المترادفات المشهورة في الفلسفة، فإن بعض الفلاسفة يفرق بين مفهوميهما، فيعجل السبب هو الأمر الداعي إلى الفعل ولأجله يفعل

اعتمد ماركس وأنجلز مبدأ التناقض (الديالكتيك) نفسه، لكن انطلاقاً من (الشيء) لا من (الفكرة) فانتصرا للطبيعة على الدين وعلى العقل، والمادية الديالكتيكية تقوم على أساس اصالة المادة وتقدمها، وأن الفكر هو نتاج المادة، وأن قوانين المادة هي التي تحكم حياة البشر الاجتماعية وفي تطبيق هذه المبادئ على حركة التاريخ، حيث ينقسم تاريخ البشرية إلى خمس مراحل، ادوار: (بدائية – اقطاعية – برجوازية – اشتراكية – شيوعية) وفق مسيرة من التطور الحتمي بفعل الصراع بين علاقات الإنتاج وبين العلاقات التي تفرضها قوى الإنتاج ووسائله المتطورة، وعن طريق كمية تتحول بواسطة العنف والثورة إلى تغيرات كيفية.^(٣٤)

الفلسفة النقدية والتأملية للتاريخ

تبحث فلسفة التاريخ النقدية في التركيب المنطقي للمعرفة التاريخية الخاصة بعلم التاريخ.^(٣٥)

وهي بهذا المعنى تسعى إلى تمحيص منهج البحث التاريخي الذي يعتمد المؤرخون من حيث أدواته المنطقية وأدلته العقلية التي تدخل في عمليتي التحليل والتركيب، وهما العمليتان الرئيستان لهذا المنهج، وما تتضمنانه من تفرعات متعددة. وهي لا تهدف إلى تمحيص المنهج فحسب، بل إلى تقويمه والنماس سبل تحقيق دراسات قويمية تستطيع بلوغ حقائق الوقائع التي طوى صفحاتها الماضي من خلال منهج علمي قادر على تحقيق هذا الغرض. وتشبه فلسفة التاريخ النقدية في وظيفتها فلسفة العلم، ذلك أن كليهما تقوم بالدور نفسه لمنهج البحث، سواء لمنهج البحث في التاريخ أم علوم الطبيعة، بتمحيصها تمحيصاً نقدياً وتقويمها وتوضيح ما يتعلق بها من مشاكل عامة لا يعرض لمعالجتها العلم أو التاريخ.

الفاعل، بينما يعد العلة هي الفاعل بعينه، ومن ثم يكون السبب أشد اختصاصاً بالأمر العرضية، أما العلة فاخصاً بالأمور الجوهرية وهو ما يشكل جزءاً مهماً من عملية تفسير التاريخ^(٣٤)

حمل مصطلح فلسفة التاريخ، منذ أواخر القرن التاسع عشر، مفهومين يختص كل واحد منهما بموضوع من الدراسة يختلف عن الآخر، عرف الموضوع الأول بفلسفة التاريخ التأملية أو النظرية، ودعى الثاني بفلسفة التاريخ النقدية أو التحليلية. وكان مصطلح فلسفة التاريخ، قبل أن يحمل هذين المعنيين، يشير عند ابتكاره من قبل فولتير منتصف القرن الثامن عشر، إلى دراسة التاريخ على أسس تحليلية نقدية تكفل تنقيته من الزائف والخرافي الذي لا يخضع لمعيار العقل، وهو اتجاه في الدراسة تطور ليبلور في أواخر القرن التاسع عشر، موضوع فلسفة التاريخ النقدية. إلا أن الفلاسفة المثاليين الألمان اوجدوا في أواخر القرن الثامن عشر معنى آخر للمصطلح، إذ استعملوه لموضوع دراسي عرف بفلسفة التاريخ التأملية، يعتمد النظر الفلسفي في تفسير التاريخ العام وتحديد مساراته واستشراف آفاقه. وكان ايمانويل كانت في طليعة أولئك الفلاسفة الألمان، وهو الذي أوجد من بينهم، كما يقول هو، مفتاح فلسفة التاريخ التأملية.

على أن فلسفة التاريخ التأملية تستوعب، لرحابة موضوعها، أفكاراً ونظريات أخرى، يتعلق بعضها، مثلاً، بالتفسير الإسلامي للتاريخ (المهدوية)، ويخص الآخر رؤى متأخرة أعادت صياغة أفكار المركزية الغربية وأحادية الحضارة تحت مسمى العولمة أو الحضارة الكونية، (نهاية التاريخ) و(صراع الحضارات).^(٣٥)

ومن هذا المنطلق نجد أن أبرز نظريات القرن العشرين في فلسفة التاريخ التأملية، وهما نظريتا شبنغلرو توينبي، انتقدنا توجهات عديدة لازمت الفكر التاريخي الفلسفي الغربي، كالنقد المطرد في مسيرة القافلة البشرية، وفكرة أحادية الحضارة، ومركزية الغرب وحضارته، والتفسيرات الواحدية التي حكمت اتجاهات نظريات فلسفة التاريخ، كالنقد المثالي الهيجلي والوضعي الكونتي والاقتصادي الماركسي، فضلاً عن التفسيرات أقل أهمية منها، كالجغرافي والبطولي والعنصري لمسار التاريخ. وتصدت هاتان النظريتان لتفسير التاريخ العام على أساس (الحضارة) كمكون يتألف التاريخ العام من مجموع ما أنتجته منها المجتمعات البشرية كلها، ومن بينها المجتمعات الغربية.

فالمستقبل كان هو الهدف الأول، منذ الحرب العالمية الأولى، لهذا النشاط الفلسفي التاريخي، الذي أضفى على فلسفة التاريخ التأملية، من وجهة نظر أنصاره، الأهمية والفائدة، وجعلها موضوعاً يستثير فضول عامة الناس الذين باتوا يتساءلون عن فائدة التقدم العلمي والتقني الذي جلب معه القلق للبشر وسلبهم الأمن والسعادة، وألقى بظلاله القاتمة على مستقبلهم وينشدون الإجابة في فلسفة التاريخ.^(٣٦)

إلا أن الرغبة في استشراف المستقبل، والتنبؤ بما سيحدث فيه رغبة في الفرار من صعوبات الحاضر وأزماته، ظل يكون، فيما يبدو، سمة بارزة من سمات الفكر الفلسفي التاريخي التأملية في القرن العشرين. وغدا التنبؤ، من حيث ارتباطه بالماضي، من وجهة نظر بعض الباحثين، لا يعدو أكثر من "عرض تاريخي للمستقبل" (٣٧) من جانب آخر يتعلق بفلسفة التاريخ النقدية، بعدما اتضحت معالمه في

وأواخر القرن التاسع عشر، دوافع تتعلق بالتقدم الذي أحرزه التاريخ كعلم آنذاك، فانبرت فلسفة التاريخ النقدية تتحرى منهجه، وتدقق مفاهيم هذا المنهج وأثره ومدى دقته وموضوعيته، للارتقاء بمستوى (المعرفة) الخاصة بالتاريخ قيمته العلمية^(٣٨)

يبدو لنا أن هناك علاقة جدلية بين دوافع تبلور موضوع كل من فلسفتي التاريخ التأملية والنقدية، والأهداف التي تسعى كل منهما لتحقيقها، فالجوء إلى الماضي كوسيلة يستعان بها على حل الأزمات والمشاكل التي تعترض مسيرة الفاعلة البشرية، كما تفترض فلسفة التاريخ التأملية، كأن يستلزم بالضرورة أن ينضج التاريخ كعلم له منهج، ووسائل معرفية تتيح الاطلاع على الماضي بشكل يقترّب من الصحة والدقة، وهي المهمة التي توسعت لتكون، فيما بعد، فلسفة التاريخ النقدية. كذلك فإن فلسفة التاريخ النقدية في سعيها للكشف عن حقيقة الماضي، إنما تؤدي دوراً في عملية استنطاق الماضي وفهم الحاضر واستشراف المستقبل تستكمل به فلسفة التاريخ التأملية وظيفتها، وتعزز سعيها لبلوغ أهدافها الأساسية في فهم الحاضر واستشراف المستقبل.

المبحث الثالث / تفسير التاريخ

(التاريخ): هو الماضي البشري ذو الأثر في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والتي كان الانسان بطلها الحقيقي، ويعرفه البعض بأنه سجل لتطور المجتمعات البشرية في العصور الماضية كما يتضح من مجرى الأحداث قبل ان تقع، كما هي بانتظار اللحظة التي ستقع فيها، ولحظة وقوعها تدخل في مكونات الحاضر، وعندما يمر زمان على وقوعها، تصبح شيئاً من الماضي.

وهناك مبدآن هامان في اختيار الحوادث التاريخية، هما :

أ = مبدأ التطور

ب - تأكيد حياة سواد الأمة

حيث يرى المرّبون بأن للتاريخ أهداف تستدعي دراسته:

١ - ثقافة اجتماعية

٢ - ضروري لفهم الحاضر

٣ - هو سجل لخبرات البشرية

يساعد على تعلم طريقة البحث العلمي وينقسم التاريخ المدون الى ثلاث أقسام: ٤

أ - القديم يبدأ من: (٣٠٠٠ ق.م - ١٥٠٠)

الوسيط (١٥٠٠)

ب - الحديث: بعد اكتشاف العالم الجديد (٣٩)

ج - علم التاريخ بمنظار الفلسفة

فيبدو لنا أن هناك تماثلاً معنوياً في الغالب بين العلة والسبب، باستثناء ما يراه، من منطلق فلسفي، بعض المؤرخين من أن مفهوم السبب تشوبه التباسات عديدة، منها ما قد يدل عليه من (حتمية) تتنافى مع طبيعة الفعل في الحدث التاريخي. ومنها أن هذا الحدث لا ينجم عن سبب متفرد أو مجموعة من الأسباب مستقل فيها كل سبب بذاته، بل هو يعبر عن نظام من الأسباب يتوجب على المؤرخ أن يصل إليه بتحديد علاقة كل سبب بالآخر وبمعرفة درجات أهمية الأسباب وأولوياتها. فعمل المؤرخ لفهم الأحداث في نظر هؤلاء ليس

هو البحث عن (السبب) فحسب، بل هو (تعليل) أو (تفسير) يتحرى فيه المؤرخ المنطق الداخلي لأحداث الماضي.^(٤٠)

حقا قد يؤدي البحث التاريخي الذي يقوم على استقراء عدد من الوقائع أو الأحداث الجزئية الخاصة بجانب معين من جوانب التاريخ العام، كدراسة الأديان والتشريعات، إلى استنباط بعض الصيغ العامة الشبيهة بالقوانين. ولكن مثل هذه الصيغ لا تعبر إلا عن تنابع متناسق للوقائع فحسب، وهي لا تقوى على تفسير تلك الوقائع لأنها لا تكشف عن العلة المحددة فيها.^(٤١)

بين التاريخ والوجود البشري صلة ما بين الفرع والأصل، إذ أنّ الذي حدث في الواقع هو بعض ممّا يحدث. وكما يتحدّد التاريخ بالوجود فإنّ الوجود يتمّوقع بالتاريخ. ذلك أنّ الذات موجودة بالذاكرة والخبرة والقصد ومدى الاقتدار على تحيين الأفكار والمهارات للتأقلم مع ما هو كائن في الآن والهنأ. والمرجع إنّ وصلنا بين الحاضر الذي يستحيل عاجلا إلى ماض بحركة ارتداد مذهلة تجعل مستقبل الماضي حاضرا، والحاضر ماضياً بحركتي إثبات ونفي دائمتين، وجود وعدم، حضور وغياب... بيان الصلة الوثيقة بين وجود التاريخ وتاريخ الوجود. وإنّ قلّنا القراءة في هذا الأتجاه تبيّن لنا الأتجاه الأخر.

وكما تتعدّد القراءات التاريخيّة بمختلف المقاربات، سألّفها وحادّثها، قديمها وجديدها تتغاير المفاهيم الوجوديّة في الأتثناء، بين مفهوم التاريخ الذي اقترن بالتجربة الفردية ودلالة الاعتبار (ابن خلدون نموذجاً) حينما تراكمت خبرة تصف الأحداث وبداية التفكير في القوانين والآليات المُتَحَكِّمة بالمجتمعات العربيّة الإسلاميّة في العصر الوسيط،

بتوصيف الأحداث وكتابة التجربة وبدء التفكير في الانتظار، بأسلوب بدائيّ، ثمّ تحوّل من مفهوم الاعتبار إلى فكرة التقدّم التي أثمرتها ثقافة الثورة في القرن الثامن عشر للميلاد وما تلى الثورة من مفاهيم جديدة أنشأت فلسفة التاريخ النقديّة وما يتفرّع عنها في اللأحق، «كالتاريخانيّة» و«(Historicism)» و«التحليليّة»، وُصولاً إلى أحدث المفاهيم الهرمونيّتيّة والسيمانتيّتيّة في إنتاج المعرفة التاريخيّة^(٤٢)

يتخلّص المبحث التاريخيّ تدريجاً من فخّ الإطلاق، كالمبحث في فكرة التطور العامّ لتاريخ الإنسانيّة، بأنّ تحوّل إلى دراسة الظواهر بعد نشأة التفكير الفينيمولوجيّ على يد (Edmond Husserl)، إذ اقترن هذا المبحث بمصير الحادثة في أتجاه والنظر في ترقّي المعرفة التاريخيّة وغائيتها، في أتجاه ثان، استناداً إلى ثنائيّة نظرية المعرفة والإبستمولوجيا، ووصولاً إلى أن أصبح يُسمّى في حقل الدراسات التاريخيّة الحديثة بـ «فلسفة التاريخ».

عوداً في الأساس والمرجع إلى كلّ من كانط (Kant) وديلتاي (Dilthey)، أي المعرفة العقلانيّة والتأويل قصد إعادة طرح سؤال الماهيّة:

ما التاريخ؟ ولم التاريخ؟ وكيف نكتب التاريخ؟ وهل التاريخ استنكار فحسب بغية الاعتبار، بإقرار اللحظة القارئة والماضي الذي هو مرجع القراءة وموضوعها عند تحيين هذا الماضي بالاسترجاع والتحليل والتأويل؟^(٤٣)

أردنا أن نقرأ التاريخ قراءة أخرى بوصفه المُحرك الأول للكيان الاجتماعي على حساب مقياسه الكمي. فيصير الجيل قارئاً لتاريخه المحصي بالأرقام والأيام في منأى عن جوهره المر والحلو على السواء. إن التاريخ بدون

لم يفلت التاريخ من قبضة الفلسفة، هذا الكائن الذي مد أذرع في كل الاتجاهات، وعندئذ لم يعد التاريخ حوادث منفصلة تظهر مرة ثم تموت الى الابد، ولم يعد التاريخ كيانا مجرداً تحكمه ظروف محلية فالتاريخ الذي ترصده الفلسفة هو التاريخ الكلي الذي ينتظم البشرية بأسرها في صيرورتها التاريخية، فأصبح التاريخ يولف وحدة منظورة تسعى فلسفة التاريخ إلى اكتشاف قوانينها المحركة وشروطها الناظمة، ولتصبح الحضارة القادمة والحضارة المدبرة خطوتان مرتبطتان جدليا على طريق واحد، هو التاريخ الممتد صوب الأمام الزمني، سواء كان امتداده عموديا، أو حلزونيا، أو دائريا، إلى اختلاف مدارس فلسفة التاريخ في النظر إلى وجهة التاريخ الكلي. فان القوانين التي تفسر تبادل الأدوار بين الحضارات ما زالت شغل فلسفة التاريخ الشاغل، وما زالت واحدة من أبرز محاور التوحد أو التقارب الكبير بين فلاسفة التاريخ، وانها تشكل في صورتها الأولى ظاهرة تاريخية شديدة الوضوح، الحضارات تتعاقب على إشغال موقع الصدارة والريادة على مركب القيادة في قطار التاريخ، وهي في تعاقبها الدوري هذا تمر بأطوار عمرية متماثلة: ولادة، فنمو، فعظمة وازدهار، فشيوخوخة، فتدهور وانحطاط، ثم افول. لكنه افول عادة ما يأتي على هيئة ((ضربة قاضية)) توجهها للحضارة الأيلة الى الافول حضارة جديدة في طور نموها، كانت قد ولدت في بقعة اخرى من بقاع المعمورة، لتنهض بدورها في إعادة تشكيل التاريخ والعبور به مرحلة جديدة من مراحل عمره المديد.^(٤٤)

وفلسفة التاريخ تقف موقف الضد تماماً من هذه المفاهيم في الصراع والحوار بين الحضارات. إنها ترسم رسماً خاصاً للحضارات وحركة وجودها وتصاعد فاعليتها وتغيرها،

جوهر يطرح حلاً لحاضر وتصور المستقبل هو شرح السلوك الإنساني على أسس فلسفية ونفسية واجتماعية صحيحة واحد ثابت المسار في ماضي الإنسان وحاضره وفي ما سيكون عليه مستقبله وان التغيرات الحاصل هو ليس في رد الفعل البشري إنما في متغيرات الفعل البيئي ذاته. إن دراسة الاحداث التاريخية بمعزل عن فهم مفردات السلوك فيها والدوافع التي تحققها شخوصها كاستجابة لحوافز (مواضيع) الاحداث، سيقود إلى النظر للتاريخ على انه جسد هيكلي ركامي من المصفوفات الحديثة التي تمتلي بها الرفوف دونما فائدة. ان مزوجة الوجدان الاجتماعي السالف لجيل من الأجيال مع الوجدان الاجتماعي الوارث لمعطيات الوجدان الأول هي حصيلة ناجحة من حصيلات اقتران علم النفس بالتاريخ. ان أي درس نستخلصه من معركة من المعارك أو كارثة اقتصادية من كوارث مجتمع ما أو انتكاسة من انتكاساته الثقافية بحيث يفتقر هذا الدرس إلى القياس النفسي والى إعادة فهمه بوسيلة من وسائل دراسة السلوك لهو درس فج ساذج لا يقدم الفائدة الموجودة منه.^(٤٤)

يتضح مما تقدم ان المصفاة الحقيقية لسوائب تاريخنا هذا هو علم النفس، ففي ضوءه نُحلل أحداثه إلى أجزائها والى عواملها الأولية وبالتحليل تتوضح أمامنا عناصر الوهم والضلالة وعناصر السداد والصحة والمصادقية. ان كثيراً من نظرتنا الى التاريخ الذي استلمناه سيتغير اذا ما أعدناها بمعيار نفسي سليم. لقد طوت العوامل المضادة لحرية الفكر وسيادة الهيمنة الاستعمارية على بلداننا الكثير من اشراق هذا التاريخ وعمت في عيوننا رؤية الصواب في أحداثه، ولكن إعادة محاكمة الاحداث بعقلانية وموضوعية مجردة سيعيدنا الى الكثير من الصواب.

ليبقى المستقبل المنشود خطوة لا حفة الى الامام تنتظر جيلا ولد للتو، أو لم يولد بعد. على هذا تستقر فلسفة التاريخ، وأن تشعبت رؤاها حول طبيعة هذا المستقبل وسر كينونته وتبقى الحرب شيحا يترصد الجميع في نهاية الطريق، فالحرب هي الوسيلة الوحيدة التي تملك القدرة على اقناع الحضارة المتحللة المنخورة من الداخل الموغلة في الشيوخوخة بأن عليها الرحيل وإخلاء المكان لحضارة قادمة في طور نموها، هذه هي مسارات حركة التاريخ، أما بالنسبة للحضارة المتدهورة فهي العاصفة الاخيرة التي تطيح بشجرة هرمة نخر جذعها السوس.

المبحث الرابع / فلسفة التاريخ

أن الفيلسوف لا المؤرخ، هو الذي يجعل فلسفة التاريخ موضوع تحرياته. ومع ذلك فالفيلسوف يلتزم باعتبار ما يقوله المؤرخ عن التاريخ كشيء ملموس كما يلتزم بها كرواية سواء بسواء. يتجه اليوم الانتباه خاصة إلى المؤرخين المحدثين. إلا إن التفكير الفلسفي يجب إلا يبلغ في أهمية التصورات الساذجة للتاريخ من أية حقبة كانت، حتى وان كانت تنتمي لعصره. ورغم التأكيد على ان المؤرخين ((الحقيقيين)) وحدهم هم مؤرخو القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فيجب أن نقر بوجود مؤرخين نابغين منذ عصر اليونان والرومان القدماء، وإذا ما اعترفنا بهذا فلا يبقى سوى أن الحرية وتسهيلات البحث التاريخي قد زادت في القرن التاسع عشر بصورة فريدة، وإنها منذ ذلك الحين استمرت في التزايد. فان السمات الأكثر تميزاً للدراسات التاريخية لا تصل بطرائق البحث بقدر اتصالها برحابة ميدان الأبحاث. ذلك أنها تمتد تقريبا لتتناول جميع حقب التاريخ لدى الشعوب الغربية والشرقية لقد انقطع

إنه رسم في أفضل حالاته الانطولوجية رسماً بيانياً باتجاه الانتكاسة والضمور لا باتجاه التألق والإبداع والعفوان الدائم الاستمرارية والبقاء. وفلسفة التاريخ تنظر إلى الحضارات نظرة قائمة على الضد من شفافية جوهر التاريخ والفلسفة. إن التاريخ بحسب نظرية أنصار التقدم يسعى دوماً إلى التقدم نحو الأمام لتحقيق آمال وتطلعات تقدمية في مسيرته الإنسانية الحضارية، وبالرغم من مواقف العنف والحروب الدموية في أحداثه السياسية المفردة، فإن هذه المواقف الدموية لم ولن تعطل أو تعرقل سير عربات قطاره للوصول إلى الأهداف النبيلة التي تريدها وتتطلع الإنسانية دوماً إلى نبيلها.^(٤٦)

كذلك فإن نظرة فلسفة التاريخ التشاؤمية إزاء الحضارات وقيامها وحتمية موتها تقف بالضد من جوهر الفلسفة، فالفلسفة علم أو مفهوم مطلق تسعى إلى المطلق والحداثة وما بعد الحداثة ميتافيزيقيا أم انطولوجيا، وهي أيضاً تنظر بهذه النظرة الكونية الشاملة في الأخلاق والجمال والقيم والتربية وفي كل شيء وجداني. الفلسفة هي المنهج الفاعل بها وعن طريقها يشعر الفرد منطقياً وجدلياً أنه دائم الحركة والتغير والتحول نحو كم أفضل ونوع أرقى وحياة حرة. إن حبة واحدة من القمح لا شك أنها تعطي وتنتج مئات الحبات أو أكثر بفعل عامل التضاد المنطقي. فالنهايات التي تسعى الفلسفة الوصول إليها هي نهايات مثمرة قابلة للزيادة في الإنتاج والإثمار اللانهائي مادياً وفكرياً. والعقل المطلق فيها تزينه دوماً عوامل خيرية تفعل فعلها في الارتقاء بنقيضها (الشراني) خير أيضاً.^(٤٧)

نستنتج من ذلك هذا هو شأن الدول والحضارات، أجيال تتعاقب وتتبادل الادوار

مؤرخون مثل ي.ج. دروزين (١٨٠٨-١٨٨٤) وه. فو تري تشكي (١٨٣٤-١٨٩٦) لدراسة المذاهب القومية الوطنية. فكان تري تشكي يؤكد مثلاً أن: ((القلب الشجاع وحده، الذي يحس بأفراح وآلام الوطن كأنها أفراحه وآلامه الخاصة، هو الذي يستطيع أن يمنح الرواية التاريخية صدقها)) إن كتابة تاريخ للحضارة عمل في منتهى الصعوبة، وخاصة لأنه يقتضي تنظيم معطيات شديدة التنوع، ومع ذلك فإننا نعتبر اليوم هذا التاريخ أساسياً لمن يريد أن يفهم فحوى التاريخ ويرسم آفاقاً ويتوصل إلى تصوير قريب من الحقيقة لما يمثلته التاريخ برمته. فليس من الممكن ألا على هذا الأساس وحده أن ننمي فلسفة للتاريخ. لقد نوقشت نقاشاً واسع النطاق مسألة معرفة ما إذا كان يستطيع المؤرخ، من حيث انه مؤرخ، الذهاب إلى ما وراء تحري الوقائع ووصفها بإخضاعها لحكمه وبتفسيرها انطلاقاً من تصوره لفحوى الحياة. فكثير من المؤرخين قد حاولوا إيجاد فائدة سببية لاكتشافاتهم، حتى أن بعضهم قد اعتبر إن هذه الاستفادة العرضية كانت الباعث الرئيسي لدراساتهم. (٤٨)

فلسفة التاريخ عند توينبي

أن نقطة البداية في فكرة توينبي هي أن كل جزئية من جزئيات التاريخ لا يمكن أن تؤخذ بمعزل عن جملة سياق التاريخ كله، فليس بمقدور أحد أن يقتطع شريحة من التاريخ ليضعها تحت مجهره ويختبر جزئياتها ويستنبط مغزاها، فليس هناك تاريخ أمة من الأمم يمكن أن يفهم بعيداً عن مجرى التاريخ وسياقه، ولا يمكن أن يفسر الحدث التاريخي الواحد نفسه بل هو لغز لا يمكن أن تفك مغاليقه إلا من خلال ربطه بالإحداث المتعاقبة في سياق التاريخ. ويضرب

توينبي مثلاً عن تاريخ بريطانيا ويتساءل هل بالوسع أن يفهم تاريخ الأمة البريطانية فهما صحيحاً بمعزل عن سياق التأريخ العام؟

ما جدوى التاريخ وما فائدته؟ ما جدوى أن يغوص المرء في كل هذا الركام الهائل من سلسلة الأحداث التي تكون عمر الإنسان على الأرض؟ ما هو هذا الشوق الملح الذي يدفع الإنسان ليتبين معالم عمره الحافل، خلال القرون؟

هل التاريخ حقاً أكاذيب متفق عليها، أم التاريخ هو معلم الشعوب، فهو فلسفة التعلم، عن طريق ضرب الأمثال؟ هل التاريخ حقاً، هو العباقرة والعظماء وكبار الصانعين أو هو - كما يقول فولتير - سجل جرائم الإنسان والحظ والنكد؟ هل التاريخ هو حياة الشعوب وحياة الإنسانية وأن من المستحيل نقل حياة الإنسانية وتجميدها في حروف، كما يذهب إلى ذلك تولستوي؟

هذه الأسئلة ومثيلاتها، وما أكثرها، قد طرحها الفلاسفة والمفكرون والمتفكرون على تطاول العصور. أن دراسة التاريخ، في رأي البعض، حياة متجددة للإنسان... حياة متجددة وصنع حي لوعيه... كشف لأعمق أعماق الحوافز السحيقة المحركة لمسيرته على الأرض. إن التاريخ حيال هذه الأسئلة كلها وكثير غيرها محاولة للإجابة عنها والارتحال من منطقة الظلمة إلى منطقة النور. أن التأريخ هم من هموم الإنسان.

إنه معاناه أخلاقية عالية لاستكشاف كل حقائق العمر الإنساني موضوعية وذاتية. التاريخ هو تحدي جهل الإنسان بنفسه ومحاولة تحويله عن التيار غير المنضبط في عمره الزمني. إن التأريخ هو حماسة الإنسان من أجل

الإنسان: إن التاريخ، بهذا المعنى، يبدو تطلعا غير محدود يرتفع عن مرتبة التطلع الطفولي ليلبغ مرتبة الشوق إلى المعرفة والتساؤل الحاد عن مسيرة الإنسانية حيناً في الظلمات والمتلعة أحيانا إلى المثل المضيفة كالفراديس السماوية.^(٤٩)

أن فلسفة التاريخ قد أتاحت للإنسان وعباً كثيراً من المثل، والنماذج العليا كونت لديه قناعة إلى حد كبير بأن العصر الألفي السعيد لم يكن اسطورة من الاساطير بل هو قضية لها ابعادها واهدافها، وهي قضية تستحق كل ما قدمه الانسان خلال تاريخه من تضحيات، وان هذا العصر الألفي السعيد ستشهده لحظة كبرى من لحظات التاريخ بكل جلالها وطموحها وضيائها.

البشر لهم وعي بالماضي (معرفة) بأنه الفترة التي تسبق الأحداث المسجلة مباشرة في ذاكرة أي فرد) بحكم العيش مع أشخاص اكبر سناً منهم. ولدى كل المجتمعات التي من المرجح أن تهتم المؤرخ ماض، لأنه حتى أكثر المستوطنات تجديداً مأهولة ببشر من مجتمع ذي تاريخ مديد. وان يكون المرء عضواً في أي جماعة بشرية يعني وضع نفسه إزاء ماضية (ماضي الجماعة)، حتى ولو برفضه فحسب. لذا فان الماضي بُعد دائم من أبعاد الوعي البشري، مكونٌ حتمي من مكونات المؤسسات والقيم وغيرها من أنماط المجتمع البشري. ومشكلة المؤرخ هي تحليل طبيعة هذا ((الحس بالماضي)) في المجتمع واقتفاء تغييراته وتحولاته.

نتعامل في القسم الأعظم من التاريخ مع المجتمعات وجماعات الماضي عندها، من حيث الأساس، هو النمط المطروح للحاضر. وفي الحالة المثالية فان كل جيل ينسخ ويعيد

أنتاج سابقه قدر الإمكان، ويعتبر نفسه متخلفاً عنه بقدر فشله في هذا المسعى. وبالطبع فان هيمنة الماضي هيمنة تامة من شأنها ان تقطع الطريق على أي تغييرات وتجديدات مشروعة، ومن المستبعد أن يكون هناك مجتمع بشري لا يعترف بمثل هذا التجديد. حيث يتسارع التغيير الاجتماعي او يحول المجتمع إلى ما وراء نقطة معينة يجب ان يكف الماضي عن أن يكون نمط، الحاضر، ويمكن، في أحسن الأحوال، أن يصبح نموذجاً له. يعني هذا تحويل الماضي نفسه تحويلاً جذرياً. ويصبح الآن، بل يجب أن يصبح قناعاً للتجديد لأنه لم يعد يُعبّر عن تكرار ما حدث من قبل، بل عن أفعال تختلف بالتعريف عن تلك التي جرت في السابق. وحتى إذا بذلت محاولة بمعناها الحرفي لإرجاع عقارب الساعة إلى الوراء فإنها في الحقيقة لا تعيد الأيام الخوالي، بل أفساماً معينة فقط من النظام الرسمي للماضي الواعي تختلف الآن اختلافاً وظيفياً.

رفض الماضي

لا تنشأ مشكلة رفض الماضي رفضاً منهجياً الا عند الاعتراف بالتجديد على انه لا مفر منه ومرغوب فيه على السواء: حين يمثل "تقدماً". ويثير هذا سؤالين متميزين هما : كيف يجري الاعتراف بالتجديد بما هو كذلك وشرعنته، وكيف يُحدد الوضع المترتب عليه؟

التجديد المتواصل يُقبل بسهولة اكبر بقدر تعلقه بسيطرة الإنسان على الطبيعة غير البشرية، مثل العلم والتكنولوجيا، لأن الكثير منه نافع بوضوح حتى للأشد ارتباطاً بالتراث والتقليد.

من الممكن التطرق بإيجاز إلى قضيتين، الماضي بوصفه كرونولوجياً^(٥٠) تاريخياً يسجل

يستنفذ طابع الكرونولوجيا التقليدية. فالتاريخ، وحدة الماضي والحاضر والمستقبل، قد يكون شيئاً مفهوماً للجميع مهما كانت قدرة الإنسان قاصرة عن استذكاره وتسجيله.

الخاتمة

سجل تاريخ الحوار المعرفي بين الفيلسوف والمؤرخ، موقف فلسفي ينظر بنظرة دونية للمعرفة التاريخية، ولم تحصل فرص حوار معرفي إيجابي الا في فترات معينة حقق فيها المؤرخ مشروع انتقال معرفي من التفسير التاريخي، ليباشر فعل تفسير فلسفي لسياقات التاريخ او بالعكس انتقال البحث المعرفي عند الفيلسوف الى مساحة المعرفة التاريخية، ليمارس فعل مزج بين المقولات الفلسفية والقراءة المتأنية للأحداث التاريخية.

وبخلاف هذه التجربة الفلسفية – التاريخية نجد الموقف السائد هو قيام نوع من الريبة من التفسير الفلسفي للتاريخ، وبالمقابل شيوع أحكام في دائرة الفكر الفلسفي تتهم المنهج التاريخي بالعقم والسكون.

وعلى أساس هذا الفهم نجد ان التاريخ يشد الفلسفة بحيث لا يتيح لها فرصة التحليق بعيداً في غير عالمناء، وترتفع الفلسفة بالتاريخ حتى لا يغوص في وحل الماضي ودمائه، يلتبس التاريخ من الفلسفة الحكمة، وتلتبس الفلسفة من التاريخ الواقعية كلاهما يكمل الآخر ومن ثم كان الزواج بينهما قائماً رغم معارضة الفلاسفة والمؤرخين.

الأحداث حسب ترتيبها الزمني ويبقى معنى الماضي بوصفه استمرارية خيرة جمعية مهمة على نحو يثير الاستغراب، حتى بنظر الأشد تحمسا للتجديد والاعتقاد بأن الجدة تساوي الأحسن: كما يشهد على ذلك إدخال " التاريخ" على نطاق شامل في مناهج كل نظام تعليمي حديث.

ان جاذبية التاريخ بوصفه استمراريةً وتقليداً، بوصفة" السلف جاذبية قوية، يشهد عليها حتى نمط السياحة. ولكن تعاطفنا الغريزي مع هذا الشعور ينبغي ألا يقودنا الى إغفال الصعوبة الكامنة في اكتشاف السبب وراء ذلك.^(٥١)

أخيراً أن قضية الكرونولوجيا التي تأخذنا إلى الطرف المعاكس من إمكانية التعميم لان من الصعب تصور أي لا يجد من المناسب، لأغراض معينة، تسجيل أمد الأحداث وتسلسلها الزمني.

الكرونولوجيا، بالطبع، ضرورية للحس التاريخي الحديث بالتاريخ لان التاريخ تغيير اتجاهي. والمفارقة التاريخية ناقوس إنذار فوري للمؤرخ، وقيمتها بما تحدثه من صدمة عاطفية في مجتمع كرونولوجي بالكامل من نوع يجعلها سهلة الاستغلال في الفنون.^(٥٢)

يتضح أن في بعض الحالات يكون الفارق واضحاً بما فيه الكفاية بين مثل هذه الكرونولوجيا وكرونولوجيا التاريخ. فأن بحث المحامين والبيروقراطيين عن سابقة يتوجه بالكامل نحو الحاضر، وهدفه هو اكتشاف حقوق اليوم القانونية، وحل مشكلات إدارية حديثة، في حين ان المؤرخ، مهما بلغ اهتمامه بعلاقتها بالحاضر، فأن المهم عنده هو اختلاف الظروف. ومن الجهة الأخرى، لا يبدو ان هذا

الهوامش

- ١ - د. جميل موسى النجار، فلسفة التاريخ... مباحث نظرية، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٠
- ٢ - فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العلي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣ م، ص ٧-٣٥.
- ٣ - د. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، (د.ت)، ص ٥١-٥٢.
- ٤ - عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، د.م، د.ت، ص ١٦
- ٥ - عبد العزيز الدوري، المصدر السابق، ص ١٧٥.
- ٦ - د. عبد الجبار ناجي، إسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت، ص ١٧١.
- ٧ = د. أحمد محمود صبحي، د. أحمد محمود صبحي في فلسفة التاريخ دار النهضة العربية، (د.ت)، ص ٨٣.
- ٨ - شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، تصحيح عبد الرحمن يعلى المعلمي، د.م، دار احياء التراث العربي، د.ت، ص ٢-٧.
- ٩ - شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص ٢-٧.
- ١٠ - نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص ١١-١٠، ٣٤-
- ١١ - محمد الحسيني الشيرازي، فلسفة التاريخ، بيروت، مؤسسة الوعي الإسلامي، ط ٢٠٠٥، ص ١٣-٢٤.
- ١٢ - محمد جلوب فرحان، الفيلسوف والتاريخ، عراق - موصل، منشورات مكتبة بسام، ١٩٨٧ م، ص ١٩.
- ١٣ - سورة الكهف: الآيتان ٨٩، ٩٢.
- ١٤ - سورة آل عمران: الآية ١٣٧.
- ١٥ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦، ص ٦٢ ح ٣١، ١٥-
- ١٦ - محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، ص ٩-١٦، ١١-
- ١٧ - د. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي
- للتاريخ، نينوى، مكتبة ٣٠ تموز، ط ٤، ١٩٨٦ م، ص ٥-٩
- ١٨ - فائز هشام البرازي، الحضارات صدم أم حوار، دمشق، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠٤ م، ص ٥٣.
- ١٩ - ابن خلدون، المقدمة، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ط ٣، ١٩٦٧ م، ص ٤-٥.
- ٢٠ - صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، بيروت، مركز الغدير، ط ٨، ٢٠٠٨ م، ص ١٠٣
- ٢١ - د. علي حسين الجابري، فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، (د.ت)، ص ١٠٤-١٠٦
- ٢٢ - البان. ج ويد جيرري، المصدر السابق، ص ١٩٠-٢٢، ١٩١-
- ٢٣ - ألبان ج. ويد جيرري، المصدر السابق، ص ١٨٦-١٨٨.
- ٢٤ - ألبان ج. ويد جيرري، المصدر نفسه، ص ١٩١-١٩٧.
- ٢٥ - د. أحمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص ٨٦-٨٧، ٢٥-
- ٢٦ - ول ديورانت قصة الفلسفة بيروت مكتبة المعارف، (د.ت)، ص ٣٠٣-٣١٠.
- ٢٧ - (٢٧) ول ديورانت، المصدر نفسه، ص ٢٧٤-٢٧٧.
- ٢٨ - ول ديورانت، قصة الفلسفة، المصدر السابق، ص ٣٧٥-٣٨٣.
- ٢٩ - كارل ماركس، بؤس الفلسفة، ترجمة أندريه يازجي، سوريا، دار اليقظة العربية، د.ت، ص ١٢٣-١٢٤
- ٣٠ - د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج ٤، ١٩٨٤ م، ص ٦٤.
- ٣١ - د. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، القاهرة، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٩٠ م، ص ٩٢-٩٣.
- ٣٢ - د. جميل موسى النجار، في فلسفة التاريخ

- ١٠٦
- دراسات فلسفية العدد ٤٧/

٤٥ - أ. د. عبد الجبار ناجي، فلسفة التاريخ والنهاية الحتمية للحضارة والدولة، بغداد، الحضارية، ط١، ٢٠٠٨ م، ص- ٨٧.

٤٦ - فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الاخير، ترجمة: د. حسين الشيخ، بيروت، دار العلوم العربية، ط١، ١٩٩٣ م، ص ١١- ١٢.

٤٧ - كولنجوود، ر.ج، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، د.م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٨ م، ص ٣٠.

٤٨ - ألبان ج. ويد جيرري، المذاهب الكبرى في التأريخ، ترجمة ذوقان فرقوط، بيروت، دار القلم، ط١٩٧٢، ١، ص ٢٩٩-٣٠١.

٤٩ - محيي الدين اسماعيل، تونبيي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، العراق، منشورات وزارة الاعلام، ط١٩٧٧، ١، ص ٧-٨.

٥٠ - تعريف مصطلح (كرنولوجيا): هي الميقاتية (علم تاريخ الحوادث وفقاً لتسلسل احداثها) علم التسلسل الزمني، وتقسيم الزمن الى فترات وتحديد التواريخ الدقيقة، ويرجع اصلها الى اليونانية (لوجوس) وتعني (علم)، (خرونوس) تعني (زمن)

Richards.EG، Mapping time. Enuersity Oxford. 1998. Isbn 5019. pay(12-13).

٥١ - أ.ج هوبزبوم، دراسات في التاريخ، ترجمة عبد الآله النعيمي، العراق، دار، المدى للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠٦ م، ص ٢٩-٤٤.

٥٢ - أ.ج. هوبزبوم، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦-٥٢.

النقدية، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط٤، ٢٠٠٠، ١، ص ٦.

٣٣ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ج٢، ١٩٨٥ م، ج٢، ص ٦٢٣-٦٢٤.

٣٤ - معهد الإنماء العربي، الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، ١٩٨٦ م، مج ١، ص ٤٧٢.

٣٥ - د.جميل موسى النجار، فلسفة التاريخ مباحث نظرية، العراق، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٧ م، ص ٣٥-٥.

٣٦ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، ج ٨، ١٩٧٨، ص ٤٣٤-٥٠٩-٥١١. ص ٢٥١-٣١٦.

٣٧ - عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٣ م، ص ١٣.

٣٨ - فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د.صالح أحمد العلي. العراق، مكتبة المثنى، ١٩٦٣ م، ص ٢٣-٢٤.

٣٩ - جواد حسن طالب، الدليل الثقافي، بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧٢، ص ١٧.

٤٠ - إدوارد كار، ماهو التاريخ، ترجمة ماهر ألكيالي، وبيار عقل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٦ م، ص ٩٨ - ٩٩.

٤١ - لانغوا وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠ م، ص ٢٣١.

٤٢ - مصطفى الكيلاني، التاريخ والوجود في المُنْبَقِي والمُنْدَثَر، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط ٢٠١٠، ١، ص ٧-٨.

43- Suivi de Foucault revolutionne' histoire'Comment on ecrit « paul Veyne p97، 1978:Seuil،histoire»1.

٤٤ - د.ريكان إبراهيم، علم النفس والتأريخ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ((أفاق عربية))، ط ١، ١٩٨٨، ص ١٨٨-١٩٠.

The Correlation between Philosophy and History: Selected Models

Lect. Abdulhussein Alwan AL-Darweish

Mustansiriyah University /College of Literature

Abstract

The term philosophy of history appeared in 1756 in the publication of a research paper in that year written by the French philosopher Marie-Arroy de Voltaire (b.1694 – d.1778). Voltaire meant by his coined term to advocate teaching history on critical and analytic bases whereby the historian would commit himself/herself to a kind of historical thinking that would enable them differentiating between what is true or reasonable of the historical accounts from what is not thereof. In his introduction, Ibn Khaldun had criticized historians and set standards for writing a true history free from lies, errors and exaggerations. We have selected examples from the history movement in its various eras and its close association with philosophy.

We have divided the research into four sections: The first is concerned with writing history; the second is about historical schools; the third tackles the interpretation of history; and the last deals with the philosophy of history, conclusions, and finally a list references.

Keywords :Philosophy of history, Correlation , Ibn Khaldon , Reasonable ,Critique